في مفهوم الشركة الكنسية
(١٣)
أعضاء جسد المسيح
العلمانيون والإكليروس (تابع)[١]

❖✚❖

ليس من تعارض بين كنيسة تُعلِّم وكنيسة تتعلَّم

لا يوجد في الأرثوذكسيَّة تعارض بين: "كنيسة تعلِّم" و"كنيسة تتعلَّم"، أي أنَّ الرُّؤساء يُعلِّمون ولهم دور إيجابي، أمَّا العلمانيُّون فيجلسون ويستمعون ولهم دور سلبي. كانت صياغة المجمع الرسولي في أورشليم: **«لأنَّه قد رأى الرُّوح القُدُس ونحن»** (أع ١٥: ٢٨)، هي الصياغة لكلِّ مجمع مسكوني، وهي أساس بناء المفهوم المجمعي للكنيسة الأرثوذكسيَّة.

عرَّف المطران فيلاريت Metropolitan Filaret هذا بمفهوم الجماعيَّة sobornost principle، أي أن:

"الكل كائنون معًا، والكل بالتالي ينجمعون بواسطة الله في كنيسة واحدة، التي هي المستودع الحقيقي للتقليد المقدَّس. يُقْصَد بكلمة "المؤمنين" الرِّئاسة الكنسيَّة والعلمانيون معًا، الذين يكوِّنون عناصر الجسد التي لا تنفصل والتي يكمِّل بعضها بعضًا. هذا ينفي أي تعارض بين: "كنيسة تُعلِّم" و"كنيسة تتعلَّم"، فالكنيسة كلُّها كنيسة تُعلِّم وكنيسة تتعلَّم في نفس الوقت".

ويضيف الأب بول إفدوكيموف ويقول:

"لا يوجد أي تعارض بين "كنيسة تُعلِّم" و"كنيسة تتعلَّم"، إنها الكنيسة كلها التي تُعلِّم الكنيسة، تمامًا كما أنَّ في كلِّ تعليمها الإنْجيل يوجَّه للفرد، ولجميع النَّاس".

العَلمانيُّون أشخاص رسوليون

ليس مصادفة أنْ تُقرأ الأعداد الأخيرة مِن إنجيل متى أثناء خدمة المعموديَّة (بحسب الطَّقس

---

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris، *The Eye Cannot Say to the Hand "I Have No Need of You"* Light and Life، 2005.

البيزنطي): **«فاذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم»** (مت ٢٨: ١٩)، وبهذه القراءة، فالإرساليَّة العُظمى توجَّه كما يقول الأب بول إفدوكيموف لكلِّ مسيحي معمَّد وممسوح بالميرون، ليصير "شخصًا رسوليًّا منذ المعموديَّة"، ومدعوًّا ليُعطي شهادة دائمة للمسيح مِن خلال حياته وأعماله.

عبَّر رئيس الأساقفة أنتوني بلوم عن المركز العالي للعَلمانيِّين في الكنيسة الأرثوذكسيَّة بحسب التَّعبير الكتابي: **«كهنوتٌ ملوكيٌّ»** (١بط ٢: ٩) عندما قال ذات مرَّة: عندما سُئِلتُ عن كياني قلتُ: "أنا عَلْماني حدث أنْ صار رئيس أساقفة".

العَلْمانيُّون مكرَّسون

الكنيسة الأرثوذكسيَّة تَعتبر عامَّة الشَّعب والأساقفة والكهنة كشعب الله، فالجميع كُرِّسَ في: الـ «**الكهنوت الملوكي**» المُعطَى للمؤمنين من خلال سرِّ مسحة الميرون.

أكَّد الأب أليكساندر شميمن على هذا عندما كتب يقول:

"اعتدنا أنْ نفكِّر أنَّ "الرِّسامة" هي بالتحديد العلامة المميِّزة للكهنة، فيصير هناك نوعان: المرسومون كهنة والعَلْمانيُّون، الذين هُم المسيحيُّون غير المرسومين؛ وهنا أيضًا تختلف الأرثوذكسية عن الكهنوت الغربي، في الكنيسة الكاثوليكية أو البروتستانت. إنْ كانت الرسامة الكهنوتية تعني أولًا منح هبات الرُّوح القُدُس لتكميل دعوتنا كمسيحيين وأعضاء الكنيسة، فكل عَلْماني يصير مسيحيًّا من خلال رسامة. نحن نجد هذا في سرِّ الميرون المقدَّس الذي يلي سر المعمودية، وإلَّا فلماذا يكون هناك سرَّان وليس سرًّا واحدًا فقط للانضمام إلى الكنيسة؟ لأنه إن كانت المعموديَّة تجدِّد فينا طبيعتنا البشريَّة الحقيقية، والتي أُظلمت بالخطية، فسرُّ الميرون يُعطينا القوَّة الإيجابيَّة والنِّعمة لنكون مسيحيين، لنتصرَّف كمسيحيين، لنبني معًا كنيسة الله، ونكون شركاء مسؤولين في حياة الكنيسة".

جميع المسيحيين مدعوُّون مِن خلال الكهنوت الذي نالوه في المعموديَّة أن يعملوا عمل الكنيسة ويَكُونوا الكنيسة. هُم مدعوُّون ليس فقط أن يذهبوا إلى الكنيسة، ولكن ليكونوا هم الكنيسة أينما ذهبوا.

مسحة الميرون المقدَّس: سر الكهنوت العام

يجعل الأب بول إفدوكيموف هذا واضحًا عندما يقول:

"كلُّ شخص معمَّد قد خُتِمَ بالمواهب، ومُسِحَ بالرُّوح القُدُس في عمق كيانه. كلُّ شخص عَلْماني كاهن في كيانه وحياته، لأنه يُقدِّم لله ذبيحة حياته ووجوده كله".

إفدوكيموف يتوسَّع في أهمية سرِّ المسحة ويسميه:

"سرّ الكهنوت العام ... سرّ القوَّة التي تُسلِّحنا كجنود ومُصارعين للمسيح ... علامة الصَّليب التي يُدهَن بها كل الجسم بالزيت المقدَّس تمثِّل ألسنة نار يوم الخمسين ... كل شخص مُعمَّد هو كائن خاريزماتي بالكمال ... وضع اليد متطابق مع ذلك الذي يُجْرَى للمتقدِّم للحياة الكهنوتية ... وهذا المعنى الرمزي لا يُخطئ، فهو يشير إلى تخصيص الحياة كلَّها لله"[٢].

فأنْ تقول إذن أنَّ دور الشعب العَلْماني في الكنيسة سلبي، فالأب إفدوكيموف يقول إنه:

"تعارض فاضح مع تعليم الآباء".

مدعوُّون إلى دور إيجابي لا سلبي

وهكذا، وبحسب بولس الرَّسول، الكنيسة ليست قطارًا يقوده الكاهن، وفيه الأعضاء العَلْمانيُّون هم الرُّكَّاب، ودورهم أن يجلسوا في هدوء، ليُحْمَلوا إلى المكان المتَّجهين إليه في السماء.

أفضل دحض وتفنيد لهذا التصوُّر عن الكنيسة هو بولس الرَّسول ونظرته عن الكنيسة كجسد، حيث كل عضو، حتى لو كان تافهًا أو غير مُهم، له وظيفة حيويَّة ليؤدِّيها، وكلمات مارشال ماكلوهان Marshall Mcluhan ترن وتقرع عن صدق هنا فتقول:

"لا يوجد مسافرون في سفينة الكنيسة، كلُّنا ملاَّحون".

إذا كان للكنيسة أن تعمل بكفاءة كجسد، فالكاهن ليس سائق قطار، ولكنه أكثر من ذلك، فهو سائق هدفه أن يوجِّه ويدرِّب أعضاء الفريق، العَلمانيِّين، ليقدِّموا خدمة لله. هو يبحث ليسْتكشف، وينمِّي، ويشجِّع الوزنات الخاملة في رعيَّته. هو يبحث كيف يستخدمها في الشهادة المسيحية والخدمة للمحتاجين والمتألِّمين لبناء جسد المسيح.

---

(2) *Ages of the Spiritual Life*. Paul Evdokimov. SVS Press. Crestwood, N.Y. 1998.

الخاريزما التي نحتاج أن نبحث عنها ونتطلَّع إليها اليوم في الكهنة المرسومين هي موهبة البصيرة، أي القدرة على التعرُّف على مواهب الرُّوح القُدُس في كلِّ شخص في الجماعة، والعناية بأنَّ مثل هذه المواهب تنمو وتُستخدَم لمجد الله وعمله من خلال الكنيسة.

أمْثلة لمشاركة العَلْمانيِّين

ما يلي، هو بعض الأمثلة عن كيف تشارك العَلْمانيُّون في رسالة الكنيسة، ولنبدأ ببعض الأمثلة المعاصرة.

قبل عام ١٩٢٣م، اختير البطريرك المسكوني من خلال مجمع مُشترَك من ثمانية عَلْمانيِّين، وأربع مطارنة.

اختير أليكسيس Alexis الثاني بطريرك موسكو من خلال ٦٦ أُسقفًا، و ٦٦ من العَلْمانيِّين، الممثِّلين لأبروشيَّات روسيا.

كريسوستوم Chrysostom رئيس أساقفة قبرص، وبطرس Peter السابع بطريرك الإسكندرية اختيرا من خلال مشاركة العَلمانيِّين[٣].

في تاريخ الكنيسة المُبكِّر، كان العلْمانيُّون هم الذين يختارون أساقفتهم، وعلى سبيل المثال، نقرأ في وثيقة الكنيسة المبكِّرة والمُسمَّاة بالديداخي Didache: **"وأنتم، يجب عليكم أن تختاروا لأنفسكم أساقفة وشمامسة على أن يكونوا رجالًا لهم حُظوة لدى الله، مُخلِصين، تجرَّبوا حسنًا، لُطفاء، كُرماء"**.

بل وحتَّى القدِّيس كبريانوس St. Cyprian، المُدافع القوي عن رُتبة الأُسقفية قال لكهنته:

[منذ بداية تنصيبي للأسقفيَّة، قرَّرتُ ألَّا أفعل شيئًا بدون نصيحتكم ورضاء الشعب].

وعندما أراد القدِّيس أوغسطينوس St. Augustine أن يختار واحدًا بنفسه ليكون خَلَفًا له، فإنه استدعى المرشَّح أمام محضر من الجمع وقال له: "أُريد أن أرَى موافقتهم"، وطلب منهم الهتاف بموافقتهم، فصاح الناس: "موافقون، ليكن هكذا".

كما يوجد لدينا مثالًا آخَر من القرن الخامس عن الأسقف روستيكوس Rusticus، أسقف

(٣) من البيِّن أن هذا هو المتَّبع أيضًا في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية، إذ أن البطريرك يُنتَخب بواسطة العلمانيين.

ناربون Narbonne، الذي قام بسيامة رئيس الشمامسة لديه ليكون أُسقفًا على أهل بيزيرس Beziers، وتجاهل روستيكوس أن يسأل شعب بيزيرس، فما كان منهم إلَّا أنْ أعادوا هذا الأسقف الجديد للتوِّ له.

المراسيم الرسولية تكتب بخصوص دور العَلمانيِّين في اختيار الأسقف فتقول:

"دَع الأسقف يُسام بعد أن يختاره الشَّعب. عندما يُسرُّ الجميع بذاك الذي وافقوا عليه، دَع الشَّعب يجتمع في يوم الرب مع جميع الكهنة والأساقفة الموجودين، وعندما يُظهِر الجميع موافقتهم، دَع الأساقفة يضعون أياديهم عليه، وليقف الكهنة صامتين، وفي الحقيقة يقف الجميع صامتين، وهم يُصلُّون بكلِّ قلبهم ليحلَّ الرُّوح القُدُس على الشَّخص المُختار".

هذا يوضِّح دَورًا موقَّرًا للعَلْمانيِّين في اختيار أساقفتهم، ويَضمن أنَّ هؤلاء الأساقفة المُختارين سيكونون رجالًا مُحترمين، أجلَّاء، مُستقيمين، رعاة صالحين، أنبياء، وليس مجرَّد من يُؤدُّون وظيفة.

وبحسب كلمات الأب جون كريسافجيس John Chrysavvgis:

"السُّلطة الكنسيَّة يجب أن تُعرَّف بعبارات الخدمة وليس القانون؛ بالشركة والحوار وليس السَّيطرة والهيمنة؛ ولكي يحدث هذا، يجب اعتبار المؤمنين أنَّهم شعب الله الموهوبون، ولا يُعاملون كأشياء أو قطيع خاص للسُّلطات بل يُعامَلون كأشخاص".

دور العَلْمانيِّين في الليتورجيا

دور العَلمانيِّين النشيط والفعَّال يتَّضح جدًّا في الليتورجيا. كلمة "ليتورجيًّا" هي يونانيَّة، ومعناها "عمل جماعي وشعبي"، المسؤولية فيه تتطلَّب العمل المُشتَرَك من كلِّ واحد.

الأب أليكساندر شميمن ألقى ضوءًا قويًّا على مشاركة العَلْمانيِّين الفعَّال في الليتورجيا عندما كَتَب يقول:

"جميع الصَّلوات في الكنيسة الأرثوذكسيَّة تُكتَب بصيغة الجمع: "نحن"، فنقول: "نُقَدِّم، نشكر، نطلب، نسبِّح، نُصعِد، نؤمن ... إلخ، ومن ثمَّ يكون الشخص العَلْماني بطريقة مباشرة جدًّا خديمًا مُشاركًا للكاهن، هذا الذي يُقدِّم لله صلوات الكنيسة كلَّها، والتي تمثِّل كلَّ الشَّعب، وهو يتضرَّع أمام الله عنهم كلُّهم".